Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مختلف: إذ أن الشعر يكمن بموجبها لا في الفعل بل في قطع الفعل.

وربّما بدأ هنا بصورة غير مباشرة حوار كبير بين الرواية والفلسفة. تعتمد عقلانية القرن الثامن عشر على جملة لايبنتز الشهيرة: nihil est sine ratione: لاشيء مما هو كائن بلا سبب. ويفحص العلم الذي استثارته هذه القناعة بشراسة سبب كل شيء بحيث أن كل شيء يبدو قابلاً للشرح هو قابل للحساب. إن الإنسان الذي يريد أن يكون لحياته معنى يتخلى عن كل حركة لا سبب لها ولا غاية. كل السِّيَر قد كتبت على هذا النحو. وتبدو الحياة كما لو أنها مسار يتألق بالأسباب، وبالآثار، وبضروب الفشل والنجاح، أما الإنسان فإنه و قد ثبّت نظره المتلهّف على التسلسل السببي لأفعاله يسارع من عدوه المجنون نحو الموت.

وفي مواجهة هذا الاختصار للعالم إلى مجرّد تتابع سببي للأحداث، تؤكّد رواية ستيرن من خلال شكلها وحده: لا يقوم الشعر في الفعل بل حيث يتوقّف الفعل؛ حيث يتحطّم الجسر بين السبب وأثره وحيث يتسكّع الفكر في حريّة عذبة عاطلة. إن شعر الوجود كما تقول رواية ستيرن يكمن في الاستطراد. إنه فيما لا يمكن حسبانه. إنه على الطرف الآخر من السببية. إنه sine ratione، بلا سبب. إنه على الطرف الآخر من جملة لايبنتز.

لايمكننا إذن أن نحكم على روح عصر ما بموجب أفكاره ومفاهيمه النظرية حصراً دون أن نأخذ بعين الاعتبار الفن ولا سيّما الرواية. لقد ابتكر القرن التاسع عشر القاطرة، وكان هيغل على يقين من أنه قد أدرك روح التاريخ العام نفسه. واكتشف فلوبير الحماقة. وأجرؤ على القول إن هذا هو أكبر اكتشاف للعصر الفخور بعقله العلمي.

من الطبيعي أننا لم نكن نشك حتى قبل فلوبير بوجود الحماقة، لكننا